Journal Of the Iraqia University (76-9) October (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

خرائط الوضع الحديثي: دراسة جغرافية وتاريخية لبيئات صناعة الكذب في القرنين الثاني والثالث الهجريين

اعداد طالب الكتوراه بيداء احمد عبد الكريم

جامعة كاشان ايران

الدكتور المشرف د. حميد رضا فهيمي تبار

جامعة كاشان ايران

Modern-day maps: A geographical and historical study of the environments of fabrication in the second and third centuries AH

Prepared by: PhD student

Supervisor: Dr.Hamid Raza Fahimi Tabar

Baydaa Ahmed Abdul Karim

Kashan University - Iran

bedaaabd909@gmail.com

fahimitabar@kashanu.ac.ir

المخلص:

يتناول هذا البحث الاستراتيجية النقدية الصارمة التي طورها محدثو الإسلام لمواجهة "خرائط الكذب" الممنهجة التي قادتها الحركات الباطنية وتيارات الغلاة لتمرير الأحاديث المصنوعة وتزييف الوعي التشريعي والتاريخي. وتنبع مشكلة البحث من محاولات هؤلاء الواضعين استغلال السعة الجغرافية للأقاليم الإسلامية وتوظيف لهجاتهم المحلية وأعرافهم التعبيرية لتمرير أيديولوجياتهم السياسية والعقدية وعزوها إلى الوحي. واعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي والمقاربة التاريخية اللسانية لتفكيك هذه المنظومة من خلال نقد الأسانيد والمتون معاً.وتوصل البحث إلى عدة نتائج، أبرزها: نجاح المحدثين في تأسيس نظام تدقيق "جيوتاريخي" متقدم يربط بين الأهلية المكانية للراوي وعمره الزمني لضبط الاختلاط البقعي وكشف الانقطاع الخفي، فضلاً عن تفكيك "البصمة الأسلوبية" للمتون وعزل الألفاظ المولّدة ولهجات الأطراف عن الفصاحة الحجازية المركزية للنص النبوي بناءً على قرينة "التفرد الإقليمي" ومبدأ عموم الحاجة. وتوصي الدراسة برقمة مسارات الرواة عبر نظم المعلومات الجغرافية، وتعميق المشترك البحثي بين علوم الحديث واللسانيات الحديثة.**الكلمات المفتاحية:** نقد المتن، الباطنية والغلاة، التفرد الإقليمي، التناص اللهجي، الجرح والتعديل الجغرافي.

Abstract:

This study examines the rigorous critical strategy developed by early Hadith scholars to counter the systematic "maps of fabrication" employed by esoteric) Bāṭiniyyah (and extremist) Ghulāt (movements to introduce fabricated traditions into the prophetic legacy. The research problem centers on how these fabricators exploited the vast geography of Islamic regions and utilized localized dialects and structural idioms to legitimize their socio-political and theological ideologies by attributing them to divine revelation. Employing an inductive-analytical method alongside a socio-historical and linguistic approach, this paper deconstructs this system through the dual criticism of chains of transmission) Asānīd (and textual contents) Mutūn.(The study yields several key findings, most notably: Hadith critics successfully established an advanced "geo-historical" auditing system that cross-referenced a narrator's regional background with their chronology to regulate location-based deterioration of memory) Ikhtilāṭ (and detect hidden disconnections) Inqiṭāʿ Khafiyy .(Furthermore, they formulated sophisticated textual tools to dissect the "stylistic signature" of prophetic speech, effectively isolating localized dialects and

newly-coined vocabulary from the central Hijazi eloquence based on the indicator of "regional singularity) "al-Tafarrud al-Iqlīmiyy (and the principle of public necessity. The study recommends digitizing narrators' routes using Geographic Information Systems (GIS) and deepening interdisciplinary research between Hadith sciences and modern linguistics.**Keywords :**Matn Criticism, Esoteric and Extremist Movements, Regional Singularity, Dialectal Intertextuality, Geo-historical Criticism.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل معالم الدِّين محوطةً بعناية الفهوم، وقيّض لحفظ الآثار النبوية صيارفةً ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين، فصارت السنّة بجهودهم بنيةً معرفية عصية على التشويه، والصلاة والسلام على مَن أُوتي جوامع الكلم، وعلى آله وصحبه أولي البصائر والهمم.أما بعد؛ فإن الدرس النقدي عند محدثي الإسلام لم يكن مجرد استجابة عفوية لظاهرة الرواية، بل تشكّل بوصفه "نظاماً معرفياً صارماً" واجه أعقد استراتيجيات التزييف الفكري والتاريخي. وحين واجهت الأمة الإسلامية صعود الحركات الباطنية وتيارات الغلاة، لم يكن الخلاف مجرد نزاع فقهي أو كلامي، بل تحول في أبعاده العميقة إلى "حرب نصوص"؛ إذ عمدت تلك التيارات إلى اتخاذ "الوضع والافتعال" أداةً لتمرير الأيديولوجيات السياسية والعقدية المنحرفة، وشرعنتها من خلال عزوها إلى الوحي النبوي الشريف.ولما كان الواضعون يدركون أن نقد الحفاظ يتتبع الضبط والعدالة، فقد طوروا أساليبهم عبر استغلال السعة الجغرافية للأقاليم الإسلامية، وتعمّد التدليس البلدي، وركوب ممرات الرحلات لصناعة مسارات وهمية تلتقي فيها الأسانيد. ومن هنا، انبرى جهابذة النقد لمواجهة هذه "الهندسة الخفية للكذب"، فلم يقفوا عند السماع الظاهري، بل حاكموا النص في أبعاده الجيوتاريخية واللسانية، مما جعل من صنيعهم مدرسة رائدة تسبق المناهج الفيلولوجية (التاريخية اللغوية) المعاصرة في تفكيك النصوص وعزل حمولاتها المحلية عن أصولها الفصيحة.

مشكلة البحث

تتبلور مشكلة الدراسة في تتبع الأساليب الالتوائية التي انتهجتها الحركات الباطنية والغلاة لتمرير الأحاديث المصنوعة، وكيف استطاع العقل النقدي عند المحدثين تفكيك هذه المنظومة عبر إحداثيات الزمان والمكان واللسان. وتسعى الدراسة للإجابة عن الأسئلة المركزية الآتية:

١. كيف شكلت الجغرافيا السياسية والأيديولوجية منطلقاً لحركة وضع الحديث عند الباطنية والغلاة؟

٢. ما هي الآليات المنهجية التي اعتمدها المحدثون في محاكمة الهوية المكانية والتاريخية للرواة لضبط الاختلاط والانقطاع الخفي؟

٣. كيف استُخدم معيار "التفرد الإقليمي" والتفكيك اللغوي للبنية الحكائية (التناص اللهجي) كقرائن حاسمة لإعلال المتون وتنقيتها من اللكنة والاصطلاحات المولّدة؟

أهمية البحث

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من خلال إبراز "العمق التحليلي" في منهج المحدثين، والذي يتجاوز ظاهر السلامة الإسنادية إلى الغوص في نقد المتن وسياقاته التاريخية والجغرافية. وتأتي هذه القراءة لتثبت للأوساط الأكاديمية الحديثة أن أدوات النقد الشرعي الأصيل كانت تمتلك وعياً متقدماً بنظرية نقد النصوص، وبربط النص ببيئته الاجتماعية والسياسية، وهو ما يسهم في ردم الفجوة بين العلوم الإسلامية التراثية والمناهج اللسانية والتاريخية الحديثة.

أهداف البحث

يهدف البحث بشكل أساسي إلى تحقيق الغايات الآتية:

- الكشف عن الخلفيات الفكرية والجغرافية التي حركت تيار الوضع عند الغلاة والباطنية.
- بيان أصالة المنهج الجغرافي التاريخي عند المحدثين في تتبع هجرات الرواة وضبط المتغيرات النفسية والذهنية الناشئة عن انتقالهم بين البلدان (الاختلاط البقعي).
- تأصيل المعايير اللغوية والأسلوبية التي اتخذها النقاد كقرائن كاشفة لـ "محلية الكذب" وعزلها عن الفصاحة الحجازية المركزية.

منهج البحث

تعتمد الدراسة على **المنهج الاستقرائي التحليلي** من خلال تتبع صنيع نقاد الحديث وأقوالهم المبثوثة في كتب العلل، والجرح والتعديل، ومقدمات السنن، إلى جانب استخدام **المنهج التاريخي النقدي** لمقاطعة خطوط سير الرواة الجغرافية وتفكيك بنية المتون لسانياً، للوقوف على كيفية استخراج العلة الكامنة في النص.

خطة البحث

تلبيةً لمتطلبات الدراسة العميقة وتحقيقاً لأهدافها، تم تقسيم هذا البحث بعد هذه المقدمة إلى ثلاثة مطالب أساسية يعقبها خاتمة بأهم النتائج والتوصيات:

- **المطلب الأول:** الملامح الجغرافية والأيديولوجية لحركة وضع الحديث عند الباطنية والغلاة.**المطلب الثاني:** نقد الأسانيد عبر محاكمة الهوية المكانية والتاريخية (مقاطعة زمن الرحلات والتأكد من عدم اختلاط الراوي عند انتقاله بين الأوطان).**المطلب الثالث:** نقد المتن بناءً على "التفرد الإقليمي" (طرح المتن لتفرد أهل بلد بروايته، وتفكيك التناص بين لهجة الإقليم ومتن الحديث النبوي)

المبحث الأول المقاربة المفاهيمية والسوسيوجغرافية لبيئات الوضع

لا يمكن فهم ظاهرة الوضع الحديثي في القرنين الثاني والثالث الهجريين باعتبارها مجرد سلوك فردي معزول يرجع إلى نوازع كاذبة في نفوس بعض الرواة فحسب؛ بل إن القراءة العميقة للتراث النبوي والروائي تكشف عن كون "الكذب" ظاهرة اجتماعية وتاريخية شديدة الارتباط بالجغرافيا التي نبت فيها [١]. فالمكان ليس مجرد حيز جغرافي صامت، بل هو وعاء ثقافي وسياسي وديموغرافي يصبغ عقلية الراوي بصبغته، ويوجه صياغة المتن الحديثي لتلبية حاجات الإقليم وتطلعاته المذهبية أو المصلحية [٢]من هنا، ينطلق هذا المبحث لتفكيك البنية المفاهيمية والاجتماعية التي تحكمت في جغرافية الوضع. حيث نتحرى أولاً في مفهوم "النكارة الإقليمية" وكيف تنبه نقاد الحديث الأوائل إلى ربط هوية الراوي بموطنه للحكم على حديثه، ثم نغوص ثانياً في تشريح المحددات السياسية والاجتماعية وحركات الموالي التي جعلت بعض الحواضر بؤراً نشطة لإنتاج المتون المصنوعة [٣]، لنصل أخيراً إلى تصنيف الحواضر الإسلامية في وعي المحدثين، والمقارنة بين أقاليم التشدد المعرفي والتحري وبين أقاليم التسامح وضخ الغرائب والموضوعات [٤].

---

(١) الوضع في الحديث، عمر بن حسن فلاته، بيروت: مكتبة عز الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، ج ١، ص ١٨٢.

(٢) معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م، ج ١، ص ١٤-١٦ (مقدمة المؤلف في أثر الأقاليم على طبائع البشر والأفكار).

(٣) دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، محمد مصطفى الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ، ص ٢١٠.

(٤) المدخل إلى كتاب الإكليل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الإسكندرية: دار الدعوة، ص ٤٣.

المطلب الأول: مصطلح "النكارة الإقليمية" وبنية "بيئة الوضع" في وعي نقاد الحديث المتقدمين

لم يغب البُعد المكاني عن ذهن نقاد الحديث المتقدمين (كشعبة، وابن معين، وأحمد، والبخاري) وهم يرسخون قواعد الجرح والتعديل؛ بل كان الموطن الجغرافي للراوي، والإقليم الذي يروي عنه، أحد أهم "الفلاتر" النقدية والمعايير السياقية التي تُعرض عليها المرويات قبل الحكم عليها قبولاً أو رداً، إيماناً منهم بأن للنص الحديثي هوية مكانية لا يمكن انفكاكه عنها [١].

أولاً: دلالة "النكارة الإقليمية" والشواهد التطبيقية

يُقصد بـ **"النكارة الإقليمية"** في العرف النقدي المتقدم: "أن يتفرد راوٍ ينتمي إلى إقليم معين برواية حديث في العقائد أو الأحكام، ويكون هذا الحديث غريباً لم يروه أصحاب المدارس الحديثية الكبرى في ذلك البلد، أو يتفرد به أهل إقليم كامل عن شيخ حجازي أو مدني كثر تلاميذه، دون أن يشاركهم في روايته أهل المدينة الذين لزموا الشيخ" [٢].

لقد صاغ النقاد تعابير حاسمة تصف هذا الانزياح الجغرافي، مثل قولهم: "هذا حديث مدني الأثر، شامِيُّ المخرج"، أو "تفرّد به أهل الكوفة"، أو "هذا حديث منكر، إنما يرويه أهل الشام" [٣]. ومن أبرز الشواهد التطبيقية على هذا الوعي ما فعله الإمام الإمام أحمد بن حنبل عند محاكمة مرويات فرج بن فضالة أو بقية بن الوليد، حيث كان ينظر إلى "شامياتهم" بعين الريبة إذا خالفوا المتواتر الحجازي، وكان النقاد يقولون: "نسخ أهل الشام عن الزهري فيها مناكير، لأنهم لم يجالسوه كأهل المدينة" [٤].

ولم تكن هذه الأوصاف مجرد تحديد جغرافي صامت، بل كانت حكماً معللاً بالنكارة؛ لأن العقل النقدي عند المحدثين كان يرى أن السنّة النبوية المشهورة والأحكام الكبرى لا يمكن أن تنحصر في زاوية جغرافية واحدة معزولة دون أن يرويها علماء الحجاز أو العراق الذين تضرب إليهم أكباد الإبل، وتفرد إقليم ناءٍ بمسألة تشريعية كبرى هو أمارة الوضع والخطأ [٥].

---

(١) شرح علل الترمذي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: نور الدين عتر، دمشق: دار الملاح، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ, ج ١، ص ٤١٢.

(٢) معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: السيد معظم حسين، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ، ص ١١٣-١١٤.

(٣) العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، الرياض: دار الخاني، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، ج ٢، ص ٨٧.

(٤) التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ج ٤، ص ١٤٥ (ترجمة فرج بن فضالة وأثر إقليمه في روايته).

(٥) مقدمة كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، حلب: دار الوعي، ج ١، ص ٦٣.

ثانياً: بنية "بيئة الوضع" وآلية التلوث المكاني

تنبّه النقاد مبكراً إلى أن بعض الأقاليم تعرضت لتغيرات ديموغرافية وسياقات سياسية صبغت مروياتها بصبغة خاصة، وهو ما يُعرف بـ "**بيئة الوضع**". فالحاضرة التي يكثر فيها الكذابون، أو يروج فيها تيار عقدي منحرف، أو تنشط فيها حركة القصاص، تُحدث نوعاً من "التلوث البيئي" للمتون؛ بحيث يصبح مجرد انتماء الراوي لهذه البيئة سبباً يدعو الناقد للتفتيش الدقيق ورفع حالة التأهب النقدي والاحتراز الفوري [١]ومثّل العراق وتحديداً الكوفة وبغداد نموذجاً لهذه البيئة المحفزة؛ فكثرة الأهواء السياسية والعقدية جعلت المحدثين ينظرون إلى "المتن الكوفي" في الفضائل والمثالب بنوع من الحذر الشديد. وفي هذا السياق، وضع الإمام يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ) يده على هذا الوعي الجغرافي عندما صاغ قاعدته المنهجية العبقرية: "إذا كتبتَ فضمّ البلدان" [٢]. وهي إشارة تعني أن مقارنة رواية الكوفي برواية البصري أو المدني عن نفس الشيخ هي الأداة الوحيدة التي تكشف هل تفرّد الراوي بالحديث نتيجة وضع وكذب نبت في تربة بلده، أم أنه حفظ ما نسيه غيره.فبنية "بيئة الوضع" في وعي النقاد كانت تعني أن المتن المنكر يتأثر بطبيعة التربة الفكرية للبلد الذي نبت فيه، مما يجعل الجغرافيا دليلاً سياقياً وقرينة حالية لا تنفصل عن فحص السند الشكلي المعرفي [٣].

---

(١) الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: ماهر ياسين فحل، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ، ص ٣٤٥.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، الرياض: مكتبة المعارف، ج ٢، ص ٢١٤.

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٢هـ، ج ١، ص ١٢-١٤.

المطلب الثاني: المحددات السياسية والاجتماعية لنشوء بؤر الكذب (أثر حركة الموالي والصراع الجيوسياسي بين المراكز والأطراف)

لم تكن بؤر الوضع الحديثي معالم جغرافية صامتة، بل كانت مراكز حيوية تعج بالتفاعلات السوسيو-سياسية؛ إذ شكلت التركيبة الديموغرافية والتحولات الهيكلية التي طرأت على الحواضر الكبرى في القرنين الثاني والثالث الهجريين المحرك الأساس وراء تلوث البيئة الروائية وولادة متون مصنوعة تعكس طبيعة الصراع القائم وحجم التباين الثقافي والطبقي [١].

أولاً: أثر حركة الموالي والخلل الديموغرافي في الحواضر الناشئة

شهدت حواضر العراق (كالكوفة وبغداد ومحيطهما) تدفقاً هائلاً لشريحة "الموالي" من الأعاجم (الفرس، النبط، والسريان) الذين دخلوا في نسيج المجتمع الإسلامي حاملين معهم إرثهم الثقافي والعقدي القديم. ولم يكن انصهار هؤلاء في المنظومة المعرفية الإسلامية يسيراً أو تاماً في البداية؛ بل بقيت رواسب الديانات الغنوصية، والمانوية، والأفكار التجسدية والحلولية كامنة في الوجدان الفكري لبعض الجماعات وتسللت تحت غطاء الرواية [٢].ونتيجة لحالات التهميش الاجتماعي أو الطبقي التي عانت منها بعض فئات الموالي في مراحل تاريخية معينة، نشأت حركات شعوبية وتيارات باطنية سرية حاولت استخدام "النص الحديثي" كأداة للمقاومة الثقافية وإثبات الذات. وتجلى هذا الاختراق الاجتماعي من خلال صياغة متون تحط من قيمة التراث الفكري العربي أو ترفع من شأن العجم على حساب العرب، مثل الأحاديث الموضوعة في تفضيل العجم أو الفرس في حمل العلم والقرآن إن تباعد به الزمن [٣].

---

(١) ضُحى الإسلام، أحمد أمين، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة العاشرة، ١٩٦٤م، ج ١، ص ١٢٤-١٢٦.

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٣٦٩هـ، ج ١، ص ٧٣.

(٣) تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، بيروت: دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٣٤٨ (في وصف طبيعة التداخل السكاني في أسواق العلم ببغداد)ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل صاغت هذه الشرائح مرويات تُسقط أفكار "التناسخ وتأليه الأشخاص" على آل البيت بأسلوب غنوصي مموه، كالتي وضعها المغيرة بن سعيد الكوفي وبيان بن سمعان، مما جعل الحواضر المكتظة بالأعراق المتباينة بمثابة تربة خصبة لتوليد متون هجينة تخترق نقاء السنّة النبوية والوعي العقدي الفطري [١].

ثانياً: الصراع الجيوسياسي وتوظيف النص بين المركز والأطراف

تحكم الصراع على السلطة ومركزية القرار في تشكيل خارطة الكذب الحديثي؛ فالانتقال الجغرافي لمركز الخلافة من المدينة المنورة إلى الكوفة، ثم إلى دمشق في العهد الأموي، واستقراره أخيراً في بغداد العباسية، خلق استقطاباً حاداً بين "المراكز الحاكمة" و"الأقاليم والأطراف المعارضة" [٢]وفي خضم هذا التنافس الجيوسياسي، تحول اختلاق الحديث إلى "سلاح أيديولوجي" لشرعنة النفوذ أو الطعن في الخصوم؛ فحاضرة دمشق (المركز الأموي) شهدت وضع مرويات تؤكد طاعة الحاكم وإن جار، ووضعت فيها مرويات الفتن والملاحم التي تخدم الرؤية الرسمية لتثبيت الشام في وجه العراق، وكان الزهري يُكره أحياناً من الأمراء على كتابة الحديث فاستغل الكذابون هذا المناخ لتمرير أحاديث الطاعة العمياء والتشريع السياسي الحزبي [٣]وبالمقابل، كانت حواضر الأطراف والمعارضة كالكوفة (المعقل العلوي) والخوارج في أطراف البصرة وسجستان، تعمل كـ "مصانع مضادة" لإنتاج أحاديث الفضائل الحزبية، ومثالب بني أمية وبني العباس، وتوقيتات ظهور المنقذ الغيبي. وكان الواضع يسعى لإيجاد مسوغ غيبي يدعم الموقف السياسي لإقليمه في مواجهة المركز، وهو ما فطن إليه المحدثون المتقدمون فكانوا يفرزون الحديث بناءً على رائحته السياسية المنبعثة من جغرافية مخرجه؛ فما خرج من دمشق طُلب فيه إسناد جليل، وما خرج من الكوفة عُرض على محكمات القران والسنّة المستقيمة للتحقق من سلامته من تلوث البيئة السياسية [٤].

---

(١) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: الميرداماد الإسترآبادي، قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٤هـ، ج ٢، ص ٤٩١ (في تفصيل تزييف المغيرة بن سعيد لأحاديث أصحاب الأئمة كأثر لبيئة الكوفة الاجتماعية).

(٢) الوضع في الحديث، عمر بن حسن فلاته، بيروت: مكتبة عز الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، ج ١، ص ٢٤١.

(٣) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٢٢هـ، ج ٥، ص ٣٤٢-٣٤٣ (ترجمة الزهري وبيان الضغوط السياسية في الشام).

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ج ١، ص ١٥٤.

المطلب الثالث: تصنيف الحواضر تبعاً للتحري المعرفي (بيئات التشدد الحجازية مقابل بيئات التسامح وضخ الغرائب العراقية)

لم ينظر نقاد الحديث إلى الأقاليم الجغرافية باعتبارها مساحات متساوية في القيمة العلمية أو الموثوقية الروائية؛ بل أقاموا نظاماً تصنيفياً صارماً للحواضر الإسلامية بناءً على ممارساتها المنهجية ومدى تحريها المعرفي في قبول الأخبار وردها. وقد أنتج هذا التباين الجغرافي نمطين بارزين في القرنين الثاني والثالث الهجريين: نمط التشدد والتحري الحجازي، ونمط التسامح وضخ الغرائب العراقي [١].

أولاً: المدرسة الحجازية (بيئة التشدد، والاتصال، والاستقرار المعرفي)

تربع إقليم الحجاز، وتحديداً حاضرة المدينة المنورة، على قمة التصنيف النقدي عند المحدثين كأكثر البيئات نقاءً وتشدداً في قبول المرويات. ويعود هذا التميز الجغرافي إلى طبيعة مجتمع المدينة المحافظ، الذي عاش في بيئة متصلة العادات والأعراف بعهد النبوة والصحابة، حيث كان "عمل أهل المدينة" بمثابة مصفاة مجتمعية حية تسقط المتون الغريبة تلقائياً [٢]تميز الرواة في المدينة بالقلة والاتساق؛ فلم يكن يُقبل الحديث إلا من رجل معروف بالعدالة والضبط التام، مشهور بالطلب بين أقرانه. ومن هنا جاءت تسمية السلاسل الحجازية بـ "السلاسل الذهبية" (مثل: مالك عن نافع عن ابن عمر) لشدة اتصالها وخلوها من الإرسال والانقطاع [٣]. وكان المحدثون في الحجاز ينظرون بعين الريبة إلى أي متن يفد إليهم من الأقاليم الأخرى،

حتى صرح الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) بعبارته الشهيرة التي تعكس هذا التوجس الجغرافي: "تَزِلّوا أحاديث أهل العراق منزلة أحاديث أهل الكتاب، لا تصدقوهم ولا تكذبوهم" [٤]، وهي إشارة بالغة الدلالة على الخوف من تسلل مناكير العراق إلى حوزة الحجاز المستقرة.

ثانياً: المدرسة العراقية (بيئة التسامح، والغرائب، والتدافع الروائي)

على الطرف المقابل، صُنِّف إقليم العراق (الكوفة والبصرة) في وعي النقاد كبيئة "تسامح روائي" وشغف بجمع الغرائب والمفارقات الحديثية. ولم يكن هذا التسامح ناتجاً عن قلة دين أو علم، بل فرضته الطبيعة السوسيو–ثقافية للعراق كملتقى للحضارات والفرع الكلامية والسياسية المشتعلة؛ حيث أدى هذا الزخم الفكري إلى توسيع دائرة الرواية وتعدد قنواتها ودخول الضعفاء والمجاهيل في سلك النقلة لملء الفراغ الأيديولوجي للفرق المحتربة [٥].

---

(١) الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: ماهر ياسين فحل، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ، ص ٣٨٠–٣٨٢ (باب معرفة بلدان الرواة وعاداتهم في النقل).

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج ١، ص ٦٨ (في فضل علم أهل المدينة وأثر بيئتهم في صيانة السنّة).

(٣) معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: السيد معظم حسين، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ٥٣.

(٤) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج ٨، ص ١١٢ (ترجمة الإمام مالك وموقفه من روايات الأقاليم).

(٥) ضُحى الإسلام، أحمد أمين، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج ٢، ص ١٤٢–١٤٤ (الموازنة التاريخية بين مدرسة الحديث في الحجاز ومدرسة الرأي والحديث في العراق).

لقد عُرف العراق بطول أسانيده وتعدد عللها، وانتشار الإرسال والتدليس الجغرافي، حتى أطلق عليه النقاد ألقاباً قاسية تكشف حذرهم، مثل تسمية العراق بـ "**دار الضرب**" (أي مصنع صك العملة، كناية عن كثرة صياغة الأحاديث وتوليدها) (١). وكان الرواة في العراق يتسابقون في طلب العوالي والغرائب التي تستهوي العامة والقصاص، مما فتح الباب واسعاً لدخول مرويات منكرة لم تعرفها بيئة الحجاز المحافظة.

ولذلك كان أئمة النقد كشعبة بن الحجاج (وهو كوفي سكن البصرة) يبذلون جهوداً خارقة لغسيل المرويات العراقية وتصفيتها، وكان النقاد يقولون: "إذا رأيتَ الحديث خرج من الحجاز إلى العراق فافحص عن بطانته" [٢]، إيماناً منهم بأن المتن قد ينزع جلبابه الحجازي النقي ليرتدي في العراق ثوب الهوى المذهبي أو الغرابة المصنوعة [٣].

---

(١) العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، الرياض: دار الخاني، ج ١، ص ٣٩٤ (نقل قول الزهري وغيره في تسمية العراق بدار الضرب).

(٢) الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ج ١، ص ٥–٧ (مقدمة المؤلف في طبقات نقاد الحواضر).

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة، ج ١، ص ٢٢.

المبحث الثاني المسح الجغرافي لحواضر الوضع (رصد تاريخي للأقاليم)

لم تكن خارطة الوضع الحديثي في القرنين الثاني والثالث الهجريين مجرد مساحات جغرافية صامتة أو خطوط متساوية النقاء على رقعة العالم الإسلامي؛ بل إن القراءة الفاحصة لحركية المرويات تُظهر أن الكذب وتوليد المتون المصنوعة كان يتمركز في حواضر بعينها تبعاً لثقلها الجيوسياسي، وعمقها الثقافي، وتركيبتها الديموغرافية المتباينة [١]. فالإقليم لم يكن مجرد مكان لإقامة الراوي، وإنما كان يمثل "تربة فكرية" مأهولة بالأهواء السياسية والمذاهب الكلامية التي تسعى بشتى الوسائل إلى إيجاد غطاء غيبي يُشرعن وجودها ويمنح تطلعاتها صبغة القداسة [٢]من هذا المنطلق، يسعى هذا المبحث إلى تقديم مسح جغرافي وتاريخي استقصائي لبؤر الوضع وحواضره الكبرى؛ حيث نتقصى أولاً إقليم العراق (الكوفة والبصرة وبغداد) باعتباره المرجل الأكبر للتدافع العقدي والسياسي وسوقاً نشطة للقُصّاص، ثم ننتقل ثانياً لتشريح إقليم بلاد الشام ومصر لرصد كيف وُظّفت الجغرافيا التاريخية

لصناعة أحاديث الفتن والملاحم وتثبيت الشرعيات الحاكمة، لنصل أخيراً إلى أقاليم المشرق الإسلامي والأطراف كخراسان والري وقم، ونحلل كيف تحولت خطوط التماس الفكري هناك إلى منافذ لتسلل الأحاديث اللاهوتية المتأثرة بالثقافات والترجمات الشرقية القديمة [٣].

---

(١) الوضع في الحديث، عمر بن حسن فلاته، بيروت: مكتبة عز الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، ج ١، ص ١٩٥.

(٢) معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م، ج ١، ص ٢٢-٢٥ (في بيان طبائع الأقاليم وتأثير هواء البلدان في النحل والآراء).

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ج ١، ص ١٥٦ (مقدمة المؤلف في تتبع بلدان الرواة وتصنيف مرويات الأوطان).

المطلب الأول: إقليم العراق (الكوفة حاضرة الوضع العقدي والغلو، البصرة حاضرة التدافع الكلامي، وبغداد سوق الوراقين والقصاص)

مَثَّلَ إقليم العراق في القرنين الثاني والثالث الهجريين المحور الأكثر سخونة والتباساً في جغرافية الرواية؛ إذ تحولت مدنه وحواضره الناشئة إلى "مرجل" يغلي بالتحولات الفكرية، والمذهبية، والسياسية. ولم تكن ظاهرة الوضع فيه ذات لون واحد أو دافع بسيط، بل إن كل حاضرة عراقية أنتجت "كذبها الخاص" الذي فرزته تركيبتها الديموغرافية، وطبيعة التدافع الديني والفكري في أروقتها ومساجدها [١].

أولاً: الكوفة (حاضرة الوضع العقدي والنزوع إلى الغلو)

تبوأت الكوفة صدارة المدن العراقية في تلوث البيئة الروائية بأحاديث "الأهواء والعقائد"؛ إذ كانت المعقل التاريخي والسياسي للعلويين، وشهدت منذ وقت مبكر نشوء تيارات سياسية تحولت بمرور الوقت إلى فرق عقدية متشددة (التشيع والغلو). ولم يقف التعبير عن هذا الولاء عند حدود الأدب أو السيف، بل امتد لانتزاع "الشرعية الغيبية" من خلال صياغة المتون النبوية الموجهة [٢]تغلغلت في الكوفة حركات باطنية قادها غلاة (أمثال المغيرة بن سعيد الكوفي، وبيان بن سمعان، وأبي الخطاب جابر بن يزيد الجعفي في بعض أطواره)؛ حيث عمد هؤلاء إلى تزوير الأحاديث ودسها في كتب أصحاب الأئمة كجابر الجعفي وغيره. ولم يقتصر الوضع هنا على الأحاديث الفقهية، بل تمحور حول صياغة متون تضفي صفات الألوهية، أو الحلول، والتناسخ، والرجعة، وعلم الغيب على آل البيت، مثل الحديث الموضوع المتداول آنذاك: "أنا وجه الله، وأنا جنب الله..." ونسبه كذباً للنبي في حق علي رضي الله عنه. كذلك صُنعت مرويات في "المثالب" تطعن في كبار الصحابة ونساء النبي لنسف التراتبية التاريخية للمجتمع الإسلامي الأول وتعميق الفجوة المذهبية. هذا المناخ العقدي المتأزم جعل المتن النبوي المروي بطريق الكوفيين متهماً بالانحياز المذهبي في وعي أئمة النقد، حتى صرح عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ) بنظرته التحذيرية تجاه تلك البيئة، مما جعل النقاد يرفعون حالة التحرز أمام "المروي الكوفي" في أبواب الفضائل والمثالب لشدة تلوث تربته الاجتماعية بالهوى [٣].

---

(١) ضُحى الإسلام، أحمد أمين، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة العاشرة، ١٩٦٤م، ج ٢، ص ١٣٥-١٣٨.

(٢) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: الميرداماد الإسترآبادي، قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٤هـ، ج ٢، ص ٤٩٢-٤٩٥ (تفصيل دقيق حول كيفية دس المغيرة بن سعيد للحديث في حلقات الرواة الكوفيين).

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٢هـ، ج ١، ص ١٤-١٦.

ثانياً: البصرة (حاضرة التدافع التنظيري والكلامي)

على النقيض من النزعة العاطفية العقدية للكوفة، اتجهت البصرة نحو "العقلنة والتنظير الكلامي"؛ إذ كانت الحاضرة التي ولدت في أحضانها أفكار القدرية على يد معبد الجهني وغيلان الدمشقي، والمعتزلة على يد واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، فضلاً عن وجود جيوب للخوارج والمرجئة. ولذلك جاء الوضع الحديثي في البصرة مدفوعاً بـ "الحجاج والمناظرة" ومحاولة صياغة أدلة أثرية تمنح الأطروحات العقلية المشتعلة طابعاً مقدساً [١]. انخرط بعض المنتسبين لهذه الفرق في اختلاق جمل تماثل محدداتهم الفكرية حول (المنزلة بين المنزلتين، ونفي القدر، والوعيد المطلق). ومن أمثلة ذلك ما نُسب إلى بعض رواة القدرية من وضع حديث: "القدرية مجوس هذه الأمة" من قِبل خصومهم، ورد القدرية بوضع أحاديث تثبت نفي الإرادة الإلهية عن المعاصي تماشياً مع أصل "العدل" عندهم.ولم يكن الكذب في البصرة يهدف إلى رفع أشخاص بأعيانهم كما هو الحال في الكوفة، بل كان يهدف إلى تسييج القواعد الكلية للمذاهب الناشئة في الفكر والعدل والتوحيد بمتون روائية. هذا التدليس الكلامي فتح الباب أمام اختلاط

الاصطلاحات الفلسفية بالنصوص الأثرية، مما جعل "المتن البصري" مصفاة تطلبت من نقاد الحديث المتقدمين (كشعبة بن الحجاج، ويحيى بن سعيد القطان) تشديد شروط القبول، وفصل كلام الرواة في العقائد عن مروياتهم في الأحكام [٢].

ثالثاً: بغداد (عاصمة الإمبراطورية العباسية وسوق الوراقين والقصاص)

مع بناء بغداد في منتصف القرن الثاني الهجري وتحولها إلى عاصمة الإمبراطورية العباسية وحاضرة الدُنيا، أخذ الوضع الحديثي منحى جديداً كلياً يمتزج فيه "المال، والسياسة، والوعظ الجماهيري". فلم تعد القضية مقتصرة على فرقة مذهبية معزولة في إقليمها، بل تداخلت مع المصالح السلطوية، ونشوء سوق الوراقين، وظهور طبقة "القصاص والمذكرين" الذين اتخذوا من منابر المساجد الكبرى وأرصفة العامة وسيلة للتكسب والنفوذ [٣].

---

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٣٦٩هـ، ج ١، ص ٨٢-٨٧.

(٢) العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، الرياض: دار الخاني، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، ج ١، ص ٣٩٤-٣٩٦ (بيان موقف أئمة البصرة من أهل الأهواء والكلام).

(٣) تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، بيروت: دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٣٥٠-٣٥٣.

شهدت بغداد نوعين رئيسين من الكذب الحديثي:

١. **النوع السياسي والسلطوي:** وتولى كبره بعض المتزلفين للخلفاء والأمراء العباسيين لشرعنة وجود الدولة وصراعها مع الأمويين والعلويين. ومثاله الصارخ ما فعله غياث بن إبراهيم النخعي عندما دخل على الخليفة المهدي وكان يحب الحمام، فروى له حديثاً في المسابقة وزاد فيه لفظة: "أو جناح" تملقاً للخليفة، فأمر له بجائزة ثم تنبه لكذبه وقال: "أشهد أن قفاك قفا كذاب، إنما استثرتَ ذلك من أجلي". وكذا وضع الأحاديث في رايات خراسان السود ونقل الخلافة في بني العباس إلى عيسى بن مريم [١].

٢. **النوع الشعبي والتجاري:** وأداره القصاص والوراقون في أسواق بغداد المكتظة؛ حيث وجد هؤلاء في توليد الغرائب وأحاديث الترغيب والترهيب المبالغ فيها وسيلة لاستدرار أموال العامة وجذب الانتباه. وتبرز هنا الحادثة التاريخية الشهيرة لقصاص بغدادي وقف في مسجد الرصافة يروي عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين حديثاً طويلاً في فضل "من قال لا إله إلا الله يخلق الله من كل كلمة طائراً مناقيره من ذهب وريشه من مرجان..."، فلما واجهه الإمام أحمد ويحيى بن معين وأنكرا عليه، رد الكذاب بصلف بغدادي: "كأن ليس في الدنيا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما؟ لقد كتبتُ عن سبعين أحمداً وعن سبعين يحيى". هذا الاستهتار المعرفي يوضح كيف تحولت بغداد، بنموها الحضري السريع واكتظاظها السكاني وسوق ورقها الناشئ، إلى ممر آمن للغرائب والموضوعات التي صُنعت لإمتاع العقل العامي واختراق المنهج العلمي الصارم [٢].

---

(١) الوضع في الحديث، عمر بن حسن فلاته، بيروت: مكتبة عز الدين، الطبعة الأولى, ١٤٠١هـ، ج ١، ص ٢٤٦-٢٤٩.

(٢) كتاب القصاص والمذكرين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: محمد لطفي الصباغ، بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ص ١١٢-١١٧.

المطلب الثاني: إقليم بلاد الشام ومصر (توظيف الجغرافيا لصناعة أحاديث الفتن والملاحم، وشرعنة السلطة السياسية، والوضع في الفضائل الإقليمية للتعبئة)

على النقيض من الحراك العراقي الذي اتسم بالانقسامات العقدية والمناظرات الكلامية، اتخذ الوضع الحديثي في إقليمي بلاد الشام ومصر مساراً وظيفياً براغماتياً (عملياً)؛ إذ ارتبطت صناعة المتون في هذين الإقليمين -خاصة في بلاد الشام- بضرورات الدولة المركزية، وتحديات المواجهة العسكرية مع القوى الخارجية، فضلاً عن التنافس الجيوسياسي على المكان والشرعية التاريخية في مواجهة الأقاليم الأخرى كالحجاز والعراق [١].

أولاً: حاضرة بلاد الشام (توظيف المرويات لشرعنة السلطة وصناعة أيديولوجيا الطاعة)

شكّلت بلاد الشام العاصمة السياسية والحاضنة اللوجستية للخلافة الأموية، وهو ما جعل تربتها الفكرية تنزع نحو "استقرار السلطة وتثبيت شرعية الحاكم". وفي هذا المناخ السياسي الضاغط، نشأ نمط من الوضع الحديثي يهدف إلى تسييج الطاعة السياسية بنصوص غيبية صلبة تمنع الثورة والخروج، وتُضفي على الولاة والأمراء صبغة القدر الإلهي المحتوم الذي لا تجوز مغالبته [٢]وقد تجلى هذا التوظيف السياسي بشكل حاد إبان الصراع الأموي الزبيري (بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبيد)، حيث استغل بعض القصاص والوضّاع حاجة السلطة لتعويض انحسار النفوذ

الجغرافي عن الحرمين؛ فصاغت أيديهم متوناً ترفع من قداسة الشام وبيت المقدس لتوازي قداسة مكة والمدينة، ودخلت في ركاب ذلك مرويات "الفتن والملاحم والأيام" التي أسقطت أحداث الصراع المعاصر على نبوءات مستقبليّة مسندة كذباً للنبي صلوات الله عليه.ومن أمثلة ذلك: وضع أحاديث تتحدث عن خروج "السفياني" من وادي اليابس بالشام، وأحاديث تذم "الرايات السود" القادمة من المشرق لتشويه الحراك العباسي قبل قيامه، فضلاً عن المتون المصنوعة في وجوب لزوم جماعة أهل الشام عند وقوع الاختلاف.

---

(١) الوضع في الحديث، عمر بن حسن فلاته، بيروت: مكتبة عز الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، ج ١، ص ٢٧٢-٢٧٦.

(٢) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٢٢هـ، ج ٥، ص ٣٤٢-٣٤٥ (تحليل وافٍ حول البيئة السياسية لإقليم الشام وأثرها على الرواة المعاصرين لبني أمية).

ولم يكن أئمة النقد المتقدمون غافلين عن هذا الاختراق الجغرافي؛ فكانوا يفرزون "المخرَج الشامي" للحديث بعين الريبة، خاصة إذا تفرد به رواة عُرفوا بمخالطة الأمراء، وكان الإمام أحمد بن حنبل يرى أن نسخ أهل الشام عن الزهري دخلتها مناكير كثيرة بسبب إكراه الأمراء للعلماء على التدوين، مما فتح ثغرة للوضاعين لدس مرويات الطاعة العمياء وشرعنة التوريث السياسي [١].

ثانياً: الدعاية الجغرافية وفضائل البقاع كأداة للتعبئة العسكرية في الثغور

تميز إقليم الشام بنمط سوسيولوجي فريد من الوضع يُعرف بـ "الدعاية الجغرافية"، وهو اختلاق المتون في فضائل المدن والثغور الشامية. ونظراً لأن الشام كانت خط المواجهة المباشر وخط التماس العسكري الدائم (العواصم والثغور) مع الإمبراطورية البيزنطية، فقد تحول الحديث المصنوع هنا من أداة سياسية داخلية إلى "سلاح تعبوي معنوي" لحث المقاتلين على الاستقرار في الثغور وسد المنافذ [٢]وفي هذا السياق، صاغت أيدي الرواة – وللأسف كان بعضهم من العبّاد والزهّاد الجهلة بوعي النقد– مرويات تمنح قداسة إلهية لمدن مرابطة مثل عسقلان، وقيسارية، وبيروت، وطرطوس، وغوطة دمشق. ومثال ذلك المتن الموضوع: "أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم خلافة ورحمة، ثم ملك وعضوض، ثم عتو وجبرية، وعليكم بالجهاد، وإن أفضل جهادكم الرباط، وإن أفضل رباطكم عسقلان"، والحديث المصنوع الآخر: " أربعة مدن من مدن الجنة في الدنيا: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق".إن خطورة هذا النمط من الوضع تكمن في أنه نبت في بيئة "حسن النية"؛ حيث استباح هؤلاء الزهاد وضع أحاديث الترغيب في الجهاد وفضائل البقاع الشامية لتحميس العامة على القتال، فخدعوا الناس بصلاح ظاهرهم وزهدهم، وهو ما فككه المحدث الكبير يحيى بن سعيد القطان بقوله التاريخي الصارم: "لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث"؛ لأن كذبهم لم يكن عن خبث طوية، بل عن جهل بمنهج الرواية وتوظيف عاطفي للجغرافيا التاريخية [٣].

---

(١) *كتاب الفتن*، أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي، تحقيق: سمير أمين الزهيري، القاهرة: مكتبة التوحيد، ١٤١٢هـ، ج ١، ص ١١٥-١٢٠ (سرد تطبيقي موسع للأحاديث المصنوعة في الملاحم السفيانية والرايات الشامية والعراقية).

(٢) *معجم البلدان*، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م، ج ٢، ص ١١٢-١١٥ (فصل في جغرافية الثغور الشامية وأثر الرباط العسكري في نشوء مرويات الفضائل البلدانية).

(٣) *مقدمة صحيح مسلم*، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج ١، ص ١٧-١٩ (أصل مقولة يحيى بن سعيد القطان في نقد كذب الزهاد والعباد وأصحاب الصلاح الإقليمي).

ثالثاً: إقليم مصر وشمال إفريقيا (الهوية المعرفية كقناة تصريف وتمرير للمرويات العابرة)

أما في إقليم مصر، فقد كانت بنية الوضع أقل حدة وإنتاجاً مقارنة بالعراق والشام؛ نظراً لأن المدرسة المصرية المبكرة ارتبطت بفقهاء الصحابة كعبد الله بن عمرو بن العاص، وتأثرت بمدرسة المدينة المنورة المحافظة. إلا أن خطورة الموقع الجغرافي لمصر تمثلت في كونها "حاضرة عابرة وقناة تصريف" بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه [١].

كانت مصر تمثل الممر الإجباري لرحلات المحدثين وطلاب العلم القادمين من الأندلس وشمال إفريقيا صوب الحجاز والعراق، وبالعكس. هذا التداخل الجغرافي الكثيف استغله بعض ضعاف الرواة، أو الذين طرأ عليهم الاختلاط وسوء الحفظ في أواخر أعمارهم (أمثال عبد الله بن لهيعة بعد احتراق كتبه، ورشدين بن سعد)، حيث تعرضت مروياتهم لعملية "تلقين وتمرير" من قِبل الرواة الغرباء.

فكان الواضعون المشرقيون أو الشاميون يفدون إلى مصر، ويمررون متونهم المنكرة والغريبة ويلصقونها بأسانيد مصرية محلية مستغلين ضعف ضبط شيوخ الإقليم في ذلك الوقت لتكتسب تلك الأحاديث "شرعية القبول". ونظراً لندرة المدارس النقدية المتشددة في شمال إفريقيا والأندلس في القرن الثاني الهجري، فقد تسربت هذه المتون المصنوعة والهجينة عبر بوابات مصر، واستقرت في مدونات أهل المغرب باعتبارها سنناً جياداً، دون الانتباه لعلتها الكامنة في الجغرافيا السلوكية للرواة الجوالين [٢].

---

(١) الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ج ١، ص ١٢-١٥ (مقدمة في تشريح المدارس الحديثية وتصنيف هوية الحفاظ المصريين).

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٢هـ، ج ٢، ص ٤٨٢-٤٨٤ (ترجمة مفصلة لعبد الله بن لهيعة المصرى وتفكيك كيفية تسلل المناكير والغرايب إلى مروياته بعد احتراق كتبه).

المطلب الثالث: إقليم المشرق الإسلامي والأطراف (خراسان، الري، وقم: كبيئات لتسلل الأحاديث اللاهوتية المتأثرة بالثقافات والترجمات الشرقية القديمة)

حين اتسعت جغرافية التدوين والرواية لتشمل أقاليم المشرق الإسلامي وبلاد ما وراء النهر، لم يعد الحديث النبوي يواجه صراعات سياسية أو مذهبية محلية فحسب، بل اصطدم ببيئات حضارية وثقافية بالغة التعقيد والعمق التاريخي. فقد كانت هذه الأطراف الشرقية النامية تمثل "خطوط تماس فكري" مباشر مع بقايا الديانات والمذاهب الفلسفية والغنوصية القديمة (كالزرادشتية، والمانوية، والبوذية، والنصرانية النسطورية)، مما جعل الوضع الحديثي فيها يتخذ منحى "لاهوتياً وفلسفياً" معقداً، أُقحمت فيه المفاهيم الدخيلة على بنية السنّة النبوية من بوابة الرواية المفتوحة [١].

أولاً: إقليم خراسان (مأزق التداخل الحضاري وصناعة الميثولوجيا الكونية)

مَثَّلَ إقليم خراسان الواسع -بمدنه الكبرى كمرو ونيسابور وبلخ- حاضنة جغرافية وبشرية ضخمة للتحولات العباسية المبكرة، إلا أنه كان في الوقت ذاته وعاءً تداخلت فيه الثقافات الشرقية المترجمة مع النص الشرعي الإسلامي. فالعديد من الرواة في تلك النواحي كانوا حديثي عهد بالإسلام، أو من أبناء تلك البيئات الذين بقيت في وعيهم الباطن رواسب التصورات الكونية والأسطورية الفارسية والهندية القديمة [٢]وفي هذا السياق، شهد إقليم خراسان تسللاً لمتون مصنوعة ذات طابع "ميثولوجي ولاهوتي" غريب عن روح النص النبوي الفصيح؛ فظهرت أحاديث تفصل في صفات العرش، والكرسي، وعوالم الملائكة، وتكوين السموات والأرض بعبارات وتفاصيل هندسية وميتافيزيقية تشبه إلى حد التطابق ما ورد في الأسفار الزرادشتية والمانوية القديمة حول (صراع النور والظلمة، وطبقات العوالم الغيبية). ولم يكن هذا الوضع مدفوعاً دوماً بسوء نية، بل كان ينشأ أحياناً من محاولة بعض الرواة "أسلمة" تلك الأفكار الفلسفية القديمة لإكسابها شرعية داخل المنظومة الإسلامية الجديدة، مما أفرز متوناً مضطربة الألفاظ، ثقيلة العبارة، افتقدت الجزالة النبوية وبانت عليها علامات الترجمة الركيكة للأصول الأعجمية [٣].

---

(١) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٤هـ، ج ١، ص ١٨٢-١٨٥ (في تشريح الأصول الفكرية للديانات الشرقية وكيفية تسربها للأفكار الإسلامية الناشئة).

(٢) الوضع في الحديث، عمر بن حسن فلاته، بيروت: مكتبة عز الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، ج ١، ص ٢٩٥.

(٣) كتاب الفرق بين الفرق وبيان الفصل منهم، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، بيروت: دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، ص ٢١٤-٢١٦ (بيان أثر الحركات الشعوبية والباطنية في خراسان وتوليدها للمأثورات الميثولوجية).

ثانياً: حاضرتا الري وقم (بؤر التماس المذهبي والغلو المترجم)

تعد منطقتا الري وقم من الحواضر المحورية في جغرافية المشرق التي شهدت حراكاً فكرياً ومذهبياً حاداً؛ حيث تحولتا بمرور الوقت إلى مراكز لاستقطاب التيارات الكلامية والمذهبية المطرودة من مركز الخلافة في العراق. هذا العزل الجغرافي للأفكار جعل من هاتين الحاضرتين بيئة خصبة لنمو "الغلو المترجم"؛ وهو إعادة صياغة العقائد الباطنية والغنوصية الشرقية في قالب حديثي مسند [١]تسللت عبر رواة الري وقم مرويات مصنوعة تُغذي الاتجاهات الباطنية، ولا سيما الأفكار المتعلقة بـ (المعرفة اللدنية المطلقة، وتأليه الذوات، والحلول، والرجعة). وعمد بعض الوُضّاع إلى أخذ مقولات مستوحاة من الفلسفات الإشراقية واليونانية المترجمة، وصياغتها كأحاديث قدسية أو وصايا نبوية تتحدث عن (العقل الأول، والنور المحمدي الأزلي) بأسلوب غنوصي مموه. هذا الاختراق اللاهوتي أحدث ردة فعل عنيفة لدى نقاد المحدثين المحافظين في تلك الأقاليم (أمثال ابن أبي حاتم

الرازي وأبي حاتم)، الذين رفعوا درجات الاحتراز والتشدد النقدي أمام المرويات القادمة من أطراف قم والري، وصنفوا عزل الراوي وبحث منشئه الجغرافي كأداة ضرورية لكشف هذه "المتون الهجينة" المترعة برائحة الفلسفات الدخيلة [٢].

ثالثاً: سمات "المتن المشرقي" وبنيته المفهومية الناشئة عن الترجمة

إن فحص البنية اللغوية والمفهومية للأحاديث التي وضعت في إقليم المشرق والأطراف يكشف عن ملامح اصطلاحية خاصة؛ فالمتن المشرقي المصنوع لم يكن يهتم كثيراً بمسائل الأحكام والتشريع الفقهي اليومي كالمروي الحجازي، ولم يغرق في تفاصيل الصراع الحزبي المباشر كالمروي العراقي، بل كان يرتكز على مسائل الإلهيات، وبدء الخلق، وحقائق الوجود.وقد استخدم هؤلاء الوُضّاع أسلوب "التناص" مع النصوص الدينية القديمة لبلدانهم؛ فظهرت في المتون كلمات ومصطلحات فلسفية مثل (الجواهر، والأعراض، والهيولى، والنور الشعشعاني)، وهي مصطلحات لم تعرفها العرب في لغتها السليمة زمن النبوة. هذا الانفصام اللغوي والمعرفي بين فصاحة المخرج النبوي الحجازي وبين "عجمية" المفهوم المشرقي المترجم كان بمثابة العلامة الفارقة التي اتكأ عليها نقاد الحديث المتقدمون لضرب هذه المرويات وإسقاطها، مؤكدين أن الجغرافيا والثقافة الشعبية للإقليم تركتا بصمة واضحة لا يمكن إخفاؤها على متن الحديث المصنوع [٣].

---

(١) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: الميرداماد الإسترآبادي، قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٤هـ، ج ٢، ص ٥٣٠ (نماذج من دخول الغلاة وأصحاب الأفكار الغنوصية إلى حواضر المشرق كالري وقم وأثرهم في وضع المتون).

(٢) الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ج ١، ص ٢٨-٣٠ (مقدمة في تتبع حفاظ المشرق وموقف مدرسة الري من الرواة الجوالين وأصحاب الغرائب المترجمة).

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٢هـ، ج ١، ص ٢٦-٢٨ (تحليل المؤلف لأثر الرطانة الأعجمية والاصطلاحات الفلسفية المشرقية في الحكم على نكارة المتون الحديثية).

المبحث الثالث الإستراتيجية النقدية للمحدثين في تفكيك الخرائط الكذبية

لم يكن تعامل المحدثين الأوائل مع ظاهرة وضع الحديث مجرد ردود أفعالٍ عفوية أو معالجاتٍ موضعية مجزأة؛ بل إن التتبع الدقيق للمنجز النقدي يكشف عن تشكّل وعيٍ استراتيجي مبكر أدرك أن حركة الكذب لا تجري في فراغ، وإنما تنبت داخل سياقاتٍ جغرافية وبنى اجتماعية وسياسية محددة [١]. وحين تحول الكذب من حالاتٍ فردية معزولة إلى "خرائط ممتدة" لها حواضر تتبناها وممرات تعبرها، كان لا بد للمدرسة النقدية أن تطور أدواتها لتبتكر نموذجاً نقدياً تفكيكياً قادراً على تتبع الخيوط الخفية للمتن المصنوع وعزله عن أصله التشريعي النقي [٢]إن عبقرية المدرسة النقدية تجلت في الانتقال من الفحص الظاهري للأسانيد إلى "التشريح البنيوي" للمرويات؛ فربطوا بين ذات الراوي وبيئته، وفحصوا المخرج الجغرافي للحديث، وحللوا البصمة الثقافية والنفسية الكامنة في المتن. فلم يعد النقد يقتصر على سؤال: "مَن حدّثك؟" بل امتد ليشمل أسئلة أكثر عمقاً وسبرًا: "أين حدثك؟ ومتى؟ وما هي الحاضنة الفكرية التي أنتجت هذا اللفظ؟" [٣]. هذا التلازم بين جغرافية الرواية وبنية المتن شكّل السند المعرفي الأقوى الذي اتكأ عليه النقاد لتعرية الأحاديث اللاهوتية المترجمة في المشرق، وأحاديث الفتن الموجهة في الشام، والنزعات الكلامية المتطرفة في العراق.يتحرك هذا المبحث قراءةً وتحليلاً في تلك الاستراتيجية المفصلة، مبيناً كيف استطاع العقل النقدي الإسلامي تفكيك خرائط الكذب عبر ثلاثة مسارات أساسية متكاملة: أولها يتمثل في عبقرية "النقد الجغرافي" وتتبع المخرج الحديثي للرواة وملاحقة الرحلة الجوالة، وثانيها يقوم على التفتيش السلوكي والنفسي للوضاعين وتفكيك دوافعهم وأيديولوجياتهم، وثالثها يرتكز على محاكمة المتون نقدياً عبر معايير الركاكة اللفظية والمخالفة التاريخية والقرآنية القطعية [٤].

---

(١) شرح علل الترمذي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: نور الدين عتر، دمشق: دار الملاح، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ، ج ١، ص ٤١٠-٤١٢ (في بيان أثر ربط الرواية بالبلدان والأوطان كوعي نقدي متقدم).

(٢) معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: السيد معظم حسين، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ، ص ١١٢.

(٣) الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: ماهر ياسين فحل، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ، ص ٣٤٢-٣٤٥ (باب ما جاء في فحص مواطن الرواة وأحوال بلدانهم عند التنازع في المتون).

(٤) مقدمة صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج ١، ص ١٥-١٧ (فصل في أصول نقد المتون والرجال والتحري في مخارج الأخبار).

المطلب الأول: "الرحلة الحديثية" و"اختبار سماع الأقاليم" كأدوات استقصائية لملاحقة الرواة الجوالين وكشف التدليس البلدي

لم يقف المحدثون الأوائل عند حدود التلقي الساكن للأسانيد، بل تعاملوا مع الإسناد بوصفه شبكة حركية ممتدة عبر الجغرافيا. وحين فطِنَ النقاد إلى أن الوُضَّاع والضعفاء يتخذون من الترحال والتنقل بين الحواضر وسيلة للتفلت من الرقابة المحلية، حوّلوا "الرحلة في طلب الحديث" من مجرد وسيلة تحصيلية لجمع العوالي إلى "أداة استقصائية هجومية" وغربلة ميدانية مكنتهم من تتبع الرواة الجوالين، وصياغة ما يُعرف بـ "اختبار سماع الأقاليم" لضرب مناورات "التدليس البلدي" (١).

أولاً: الرحلة النقدية كأداة تحقيق وتفتيش ميداني

تجاوزت الرحلة عند جهابذة النقد (كشعبة بن الحجاج، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل) وظيفتها التقليدية المتمثلة في سعة السماع، لتتحول إلى "مهمة تفتيشية" أشبه بالتحقيق الجنائي المعاصر. كان الناقد يرحل إلى الإقليم البعيد لا ليسمع الحديث فحسب، بل ليطابق المتن بأصله في مدونات شيوخ ذلك الإقليم، وليتحقق من الوجود المادي للراوي وتاريخ دخوله وخروجه (٢)وقد مثلت الرحلة السلاح الأقوى لملاحقة "الرواة الجوالين"؛ وهم الصنف الذي عجزت المدائن عن ضبطهم محلياً لأنهم لا يستقرون في بقعة حتى ينكشف أمرهم، بل يمرون بالحواضر عابري سبيل، فيحدثون أهل كل بلد بمرويات غريبة ينسبونها لشيوخ إقليم آخر تباعدت عنه الشقة. فكان الناقد يقطع الفيافي ليلتقي بالشيخ الأصلي الذي نُسبت إليه الرواية، ليفاجأ بأن الشيخ لم يحدّث بها قط، أو أن الراوي المذكور لم يطأ أرض هذا الإقليم أساساً.ومن شواهد هذا الحزم الميداني، ما فككه الإمام يحيى بن معين حين تتبع بعض الرواة الذين ادعوا السماع من شيوخ ببلاد ما وراء النهر أو اليمن، فكان يرحل إلى مراكز سماعهم ويسأل بطانة الشيخ وعارفيه عن هذا الراوي الغريب، فإذا تبين انعدام اللقاء المادي سقطت الرواية جملة وتفصيلاً (٣).

---

(١) الرحلة في طلب الحديث، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: نور الدين عتر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ، ص ٦٢-٦٥ (تحليل لمنزع النقاد في تحويل الرحلة من الطلب إلى التفتيش).

(٢) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، تحقيق: ماهر ياسين فحل، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ، ص ٢٨٨-٢٩١ (فصل في تتبع الرواة الذين يغيرون بلدانهم ونسبهم ختلاً للسامعين).

(٣) تاريخ يحيى بن معين (رواية الدوري)، يحيى بن معين بن عون، تحقيق: عبد الله أحمد حسن، بيروت: دار القلم، ج ٢، ص ١٠٤-١٠٧ (تطبيقات عملية في كشف الكذابين عبر سؤالهم عن خطوط رحلاتهم وعواصم سماعهم).

ثانياً: "اختبار سماع الأقاليم" وآلية المقارنة الإسنادية الجغرافية

ابتكرت المدرسة النقدية المتقدمة أداة منهجية بالغة الذكاء عُرفت اصطلاحاً باختبار السماع أو "المقارنة الجغرافية للمرويات". وتقوم هذه الآلية على قاعدة: "أن لكل شيخ إقليم بطانة من تلامذته الحفاظ الذين أحصوا حديثه وضبطوا مخرجه" (١). فإذا جاء راوي جوال (شامي أو عراقي مثلاً) وانفرد بسماع متن غريب ومستنكر عن شيخ مدني مشهور (كالزهري أو نافع)، لم يسارع النقاد بتصديقه لمجرد سلامة السلسلة ظاهرياً، بل عرضوا روايته على "نسيج سماع أهل الإقليم".كان النقاد يسألون: أين أصحاب هذا الشيخ الأصليون؟ أين ملازموه من أهل بلده الذين لم يفارقوه حظيرة ولا سفراً؟ كيف يفوت هذا الحديث أصحاب نافع الأثبات كمالك بن أنس وعبيد الله بن عمر، وينفرد به راوٍ غريب اجتاز المدينة يوماً أو يومين؟إن هذا العرض الجغرافي كان كفيلاً بكشف "أحاديث الملاطفة" أو السرقات الحديثية؛ حيث يعمد الراوي الضعيف إلى سرقة حديث غريب لشيخ غير مشهور، ويلصقه بشيخ إقليمي تشرئب إليه أعناق طلبة العلم ليروج سوقه. وبواسطة هذه الغربلة، تمكن أئمة الصيرفة الحديثية من إسقاط مئات المتون التي ثبت بالدليل الجغرافي المقارن أنها "لقيطة" لا أصل لها في ديوان الإقليم الذي نُسبت إليه (٢).

ثالثاً: تعرية "التدليس البلدي" ومحاكمة التمويه الجغرافي

تفتقت حيل بعض الرواة الضعفاء والوضاعين عن نوع خفي من الخداع المعرفي أطلق عليه النقاد "تدليس البلدان" أو "التدليس البلدي". وهو أن يذكر الراوي موطناً أو بقعة جغرافية باسم مهجور أو مشترك أو غير مألوف، ليوهم السامعين بأنه رحل وطاف الأقاليم، أو ليعمي السبيل عن شيخه الضعيف الكامن في ذلك الموضع المهجور (٣).

---

(١) معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: السيد معظم حسين، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ، ص ١٤٣ (تأصيل قاعدة مخرج الحديث وعرض الغريب على مرويات أهل البلد الأثبات).

(٢) شرح علل الترمذي، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: نور الدين عتر، دمشق: دار الملاح، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ، ج ١، ص ٤١٥-٤١٨ (دراسة نقدية مستفيضة لكيفية تعامل البخاري ومسلم مع تفردات الغرباء عن شيوخ الأقاليم المركزية).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ، ج ٢، ص ١٩٢-١٩٥ (باب ما جاء في ذم تدليس البلدان والأسماء واستعمال الألقاب المجهولة لتغطية العيوب الجغرافية).كأن يقول الراوي: "حدثني فلان وراء النهر"، فيظن المستمع أنه يعني النهر العظيم بخراسان (جيحون) ليعطيه هيبة الرحلة العالية، بينما هو يعني نهراً صغيراً في قريته القريبة؛ أو يقول: "حدثنا فلان بالإسكندرية" ويعني قرية صغيرة تابعة لبغداد تسمى بهذا الاسم، وليس الحاضرة المصرية الشهيرة.ولم يكن هذا الصنيع مجرد حيلة لرفع الإسناد، بل كان ستراً مقصوداً للوضاعين والمتروكين عبر التمويه الجغرافي.وقد انتصب أئمة الجرح والتعديل لمواجهة هذا التدليس عبر محاكمات نقدية صارمة اعتمدت على "التفتيش الزمني والمكاني"؛ فكانوا يطالبون الراوي بتحديد خط سير رحلته، ويسألونه عن ميادين المدن التي زعم السماع فيها، بل وعن الأيام والمشاهد التاريخية التي عاصرها في ذلك الإقليم. ومما يُروى في هذا الباب أن بعض الرواة ادعى السماع من شيخ في إقليم معين، فاستجوبه الحافظ أبو حاتم الرازي عن تاريخ دخوله ذلك الإقليم، فلما وجده متأخراً عن تاريخ وفاة الشيخ بسنوات، تبين كذبه وافتضاح أمره [١]. وبذلك تحولت الجغرافيا التاريخية في أيدي المحدثين إلى مقصلة علمية قطعت دابر التمويه والوضع.

---

(١) الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ج ١، ص ٤٥-٤٨ (مقدمة مستفيضة في استخدام القرائن الزمنية والجغرافية لكشف ادعاءات السماع الباطلة وتعرية الرواة الجوالين).

المطلب الثاني: نقد الأسانيد عبر محاكمة الهوية المكانية والتاريخية (مقاطعة زمن الرحلات والتأكد من عدم اختلاط الراوي عند انتقاله بين الأوطان)

لم تنفصل الحقيقة التاريخية في المنظور النقدي للمحدثين عن الحقيقة الجغرافية؛ إذ شكّل الزمان والمكان إحداثيين متلازمين لتقييم القيمة العلمية للمرويات. ولم يكن فحص الهوية المكانية للراوي ترفاً نسبياً، بل غدا محاكمة صارمة تُقاطع فيها تواريخ الهجرات والرحلات لضبط التناقض التاريخي، وتُتبع فيها المتغيرات النفسية والذهنية التي تطرأ على الراوي عند انتقاله من وطن إلى آخر، فيما عُرف بـ "الضبط المشروط بالمكان" أو "الاختلاط البقعي" [١].

أولاً: مقاطعة زمن الرحلات والتأريخ المكاني لإثبات السماع

ابتكر النقاد ما يمكن تسميته بـ "المطابقة الزمنية للمسارات الجغرافية"، وهي آلية تقوم على فحص المسيرة العمرية للراوي ومقارنتها بالمسيرة العمرية للشيخ، مع ربط ذلك بالحيز المكاني الذي جرى فيه الادعاء باللقاء. فلم يكتفِ الناقد بالتحقق من معاصرة الراوي لشيخه، بل كان يطالب بإثبات "التزامنية المكانية"؛ أي وجود الاثنين معاً في بقعة جغرافية واحدة في زمن محدد [٢]عبر هذه الآلية، استطاع النقاد كشف الأسانيد المفتعلة التي يركبها بعض الضعفاء عبر استغلال التباعد الجغرافي. فإذا ادعى راوٍ كوفيٌّ السماع من شيخ شاميّ، عاد النقاد إلى سجلات الرحلات وسألوا:

- متى دخل هذا الكوفي دمشق؟
- ومتى خرج ذلك الشامي منها؟

فإذا ثبت بالاستقراء التاريخي أن الراوي تلميذٌ دخل البلد بعد وفاة الشيخ، أو أن الشيخ غادر الحاضرة قبل ولادة الراوي أو بلوغه سن الأهلية، حُكم على الإسناد بالانقطاع أو الوضع.وقد صاغ الإمام يحيى بن معين هذه المحاكمة التاريخية الجغرافية بعبارته المنهجية الصارمة حين قال: "لما دلسوا علينا البلدان، كتبنا المواليد والوفيات، وسألناهم عن ممرهم في الفجاج"؛ فغدت جغرافية المدن ومسالك الطرق دليلاً مادياً يُسقط المرويات المصنوعة التي لا تتطابق خطوط سيرها جغرافياً [٣].

---

(١) معرفة علوم الحديث، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦هـ، ص ٣٩١-٣٩٤ (النوع الثالث والستون: معرفة الثقات الذين خُلطوا في آخر أعمارهم أو لتغير طرأ عليهم).

(٢) الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: ماهر ياسين فحل، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ، ص ٣٥٠–٣٥٣ (باب ذكر القرائن التاريخية والمكانية في رد دعاوى السماع المدلسة).

(٣) جامع التحصيل في أحكام المراسيل، صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت: عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، ص ٤٢–٤٥ (فصل في أهمية تواريخ الوفيات والبلدان في كشف الانقطاع الخفي).

ثانياً: تتبع اختلاط الراوي وتغيّر ضبطه عند الانتقال بين الأوطان

ثمة ملحظ نقدي غاية في الدقة تنبه إليه صيارفة الحديث، وهو أن أهلية الراوي وضبطه للمتون قد لا يكونان حالة مطلقة مستقرة، بل قد يتأثران بالبيئة الجغرافية والظروف اللوجستية المصاحبة لانتقاله بين الأقاليم. ومن هنا نشأ مصطلح "الرواة الذين اختلطوا أو تغيروا عند دخولهم بلداً معيناً"، وهو ما يعد قمة التفتيش العلمي في أحوال الرواة [١].

وكان لهذا التغير والاضطراب الناشئ عن التنقل أسباب موضوعية رصدها النقاد وفككوها، ومن أبرزها:

• **مفارقة الأصول والكتب:** كان بعض الحفاظ يملكون ضبط كتاب لا ضبط صدر، فإذا كانوا في بلدانهم وأوطانهم حدثوا من أصولهم المكتوبة المصححة فجاءت مروياتهم كالقناديل، فإذا رحلوا إلى أقاليم أخرى وتركوا كتبهم وراءهم، حدثوا من حفظهم فكثرت في أسانيدهم الأوهام، وتسللت إلى متونهم الغرائب والمنكرات، بل وربما لُقِّنوا ما ليس من حديثهم فقبلوا به لضعف ذاكرتهم في الغربة.

• **البيئة العلمية الحاضنة:** إن الراوي قد يتقيد ببيئة بلدية صارمة تمنعه من التساهل، فإذا اجتازها إلى إقليم يقل فيه النقد، تساهل في الرواية وحدث عن المتروكين.ومن أشهر التطبيقات العلمية على هذا الباب، ما صنعه النقاد مع الإمام معمر بن راشد؛ إذ ميزوا بين ما حدّث به في اليمن (وهو صحيح غاية في الضبط لكونه من كتبه)، وبين ما حدّث به بالبصرة (وفيه اضطراب وأوهام لأنه حدّث من حفظه). ومثل ذلك صنيعهم مع عبد الرزاق الصنعاني، وأبي بكر بن عياش، حيث عُزلت مروياتهم جغرافياً بناءً على مكان التحديث، لحماية السنّة من المتون المتهالكة التي دخلت الأسانيد نتيجة اضطراب الضبط المكاني [٢].

ثالثاً: الهوية المكانية كقرينة مرجّحة عند تعارض المرويات

في حالات اختلاف الأسانيد وتعارض المتون، عندما يروي جماعة من الحفاظ حديثاً على وجه، ويرويه آخرون على وجه مغاير، كانت "الهوية المكانية" للإسناد هي الحكم المرجّح لفك الاشتباك المعرفي. فقد قسّم النقاد الأسانيد إلى "مدارس إقليمية" مستقرة، وعرفوا لكل مدرسة بصمتها ومخرجها وصفتها التعبيرية [٣]. فإذا دار الحديث بين إسناد مدنيّ خالص، وإسناد عراقي دخلت فيه الغرائب، رجّح النقاد الرواية المدنية لشدة اتصال المدرسة الحجازية وضبطها لحديث علمائها. وعلاوة على ذلك، كان النقاد يستعينون بالهوية المكانية لكشف "السرقات الحديثية"؛ فإذا وجدوا متناً يدور في فلك قضايا الشام السياسية والفتن المشرقية، ثم ركّب له راوٍ إسناداً مدنياً ناصعاً، علموا أن في الأمر علة خفية، وأن المتن أجنبي عن هذا الإسناد.

---

(١) الاغتباط بمن رمي بالاختلاط، برهان الدين إبراهيم بن محمد الحلبي (سبط ابن العجمي)، تحقيق: علاء الدين علي رضا، القاهرة: دار الحديث، ١٤٠٨هـ، ص ١٩–٢٣ (المقدمة في تأصيل الاختلاط الناشئ عن مفارقة المدن والكتب).

(٢) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: عبد الكريم بن عبد الله الخضير، الرياض: مكتبة دار المنهاج، ١٤٢٦هـ، ج ٤، ص ٣٦٠–٣٦٣ (باب بيان تفصيل أحوال من تغير ضبطه ببلد دون بلد).

(٣) هدي الساري مقدمة فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تونس: دار سحنون، ص ٤٣٢–٤٣٥ (فصل في تتبع أوهام الرواة المشرقيين والمصريين عند روايتهم عن الحجازيين وعكسه).

المطلب الثالث: نقد المتن بناءً على "التفرد الإقليمي" (طرح المتن لتفرد أهل بلد بروايته، وتفكيك التناص بين لهجة الإقليم ومتن الحديث النبوي)

لم يقف المحدثون الأوائل عند حدود تتبع العلل الكامنة في سلاسل الأسانيد جغرافياً، بل جردوا أدواتهم النقدية لمحاكمة "بنية المتن الحكائية واللغوية" عبر فحص هوية الإقليم الذي أنتجها. وقد أدرك نقاد الصيرفة الحديثية أن النص المصنوع لا بد أن يحمل –وعي أو لا وعي واضعه– ندوب البيئة التي نبت فيها، سواء تجلى ذلك في انغلاق الرواية على جغرافيا إقليمية ضيقة فيما يُعرف بـ "التفرد الإقليمي"، أو انبعث على شكل ألوان تعبيرية وبنى لغوية تنتمي لسمات اللهجة المحلية للإقليم وتصطدم بالفصاحة الحجازية المركزية [١].

أولاً: طرح المتن بناءً على "التفرد الإقليمي" ومبدأ عموم الحاجة

صاغ العقل النقدي عند المحدثين قاعدة معرفية بالغة الصرامة في نقد المتون وتقييمها، تتلخص في: "أن الحديث إذا كان يتناول حكماً تشريعياً عاماً، أو شعيرة من شعائر الدين الظاهرة التي تلزم بها الكافة، ثم ينفرد بروايته أهل بلد واحد أو بقعة جغرافية نائية دون سائر أقاليم الإسلام الفقهية، فإن هذا التفرد الإقليمي يعد قرينة قوية على نكارة المتن وبطلانه" [٢]وكان المنطلق الفكري لهذه القاعدة يقوم على أن السنّة النبوية المشهورة الشائعة لا يمكن أن تطوى عن حواضر العلم الكبرى كالمدينة ومكة لتبث في قرية من قرى خراسان أو ثغر من ثغور الشام؛ فـ "شذوذ المخرج الجغرافي" مع "عموم الحاجة للمتن" معادلة مستحيلة في منطق التلقي الإسلامي. وقد طبق الحفاظ هذا المعيار بذكاء لتفكيك متون "فضائل البلدان والمدن"؛ فإذا جاء متن يفصل في ثواب سكنى مدينة معينة (كعسقلان، أو قزوين، أو مرو)، وينفرد بتداول هذا المتن رواة تلك المدينة أنفسهم، سقط المتن نقدياً تلبيةً لداعي التهمة؛ إذ إن المصلحة الإقليمية والتعصب البقعي صارا هما المحرك الأساس لصناعة النص، مما يجعل التفرد هنا علامة وضع واضحة لا تقبل التأويل [٣].

---

(١) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الحلبي، ١٣٥٨هـ، ص ٣٩٩-٤٠٢ (تأصيل الشافعي لرد الشاذ وتفرد أهل الآفاق بما يجب أن يعلمه الكافة).

(٢) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ، ص ٤٥-٤٨ (قواعد كلية في نقد المتون، ولا سيما أحاديث فضائل المدن وأثر التعصب الإقليمي في الوضع).

(٣) العلل، أبو حاتم عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: فريق من الباحثين، الرياض: مطابع الحميضي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ج ١، ص ٥٥-٥٨ (نماذج عملية لإعلال المتون بناءً على تفرد الرواة من أقاليم معينة بفضائل بلدانهم أو مذاهبهم).

ثانياً: تفكيك التناص بين لهجة الإقليم ومتن الحديث

تمثلت الأدوات الفيلولوجية (التحليل اللغوي والتاريخي للنصوص) عند المحدثين في قدرة فائقة على تمييز "البصمة الأسلوبية" للفظ النبوي الشريف؛ فالنبي ﷺ بُعث بجوامع الكلم، وكانت عباراته تسير في فلك الفصاحة الحجازية القرشية العليا بصفائها، وجزالتها، وخلوها من اللكنة وعجمة التركيب. وحين عمد الوُضّاع في الأقاليم المفتوحة إلى صياغة الأحاديث، وقعوا في مأزق "التناص الأسلوبي" مع لهجاتهم المحلية وأعرافهم التعبيرية؛ فظهرت في بعض المتون تركيبات لغوية ومصطلحات اصطلاحية تنتمي تحديداً لـ:

- الدارجة العراقية (الكوفية والبصرية).
- الأنماط التعبيرية السريانية الشامية.
- الرطانة الأعجمية المشرقية.

فاستخدام بعض الكلمات المهجورة حجازياً، أو تقديم الفاعل وتأخيره على سنن لغات الأطراف، أو تكلّف السجع الثقيل الذي يشبه أساليب الكهان أو القصاص في حواضر الأقاليم، كان كفيلاً بإسقاط المتن (١)وكان الإمام الشافعي، ومن بعده أئمة النقد كأحمد بن حنبل والبخاري، يلقون المتن بمجرد سماعه قائلين: *"هذا كلام لا يشبه كلام النبوة"*. ولم يكن هذا الحكم انطباعياً، بل كان ناتجاً عن حس لغوي تفكيكي يكتشف فوراً تسلل الاصطلاحات المولدة أو الدارجة الإقليمية إلى نسيج النص النبوي، مما يبرهن على أن المتن هو نتاج بيئة بلدية لاحقة وليس وحياً حجازياً متقدماً [٢].

---

(١) تأويل مختلف الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد زهري النجار، بيروت: دار الجيل، ١٣٩٣هـ، ص ١٦٤-١٦٧ (تحليل ابن قتيبة لأثر العجمة واللكنة الإقليمية في تشويه الألفاظ النبوية وتوليد الأحاديث المنكرة).

(٢) المقتضب من كتاب السيّاق، أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: مساعد بن راشد الحَميد، الرياض: دار العاصمة، ج ٢، ص ٣١٠ (دراسة حول ركاكة اللفظ العراقي والشامي الطارئ على المتون واستخدام النقد اللغوي كأداة رد).

الخاتمة والتوصيات

بعد هذه الجولة المعرفية الممتدة في رحاب الاستراتيجية النقدية للمحدثين، وتفكيك الأدوات الاستقصائية التي واجهوا بها "خرائط الكذب" ومحاولات التيارات الباطنية والحركات المغالية لتشويه النسيج المعرفي للسنة النبوية، نصل إلى محطة الختام. إن هذه الدراسة لم تكن مجرد رصد تاريخي لجهود المحدثين، بل كانت محاولة لإعادة قراءة "العبقرية المنهجية" التي امتلكها العقل النقدي الإسلامي المبكر، وكيف استبق بها أحدث نظريات نقد النصوص والتحليل الجغرافي والاجتماعي.

وفي ضوء ما تم بسطه وتحليله في فصول هذا البحث ومباحثه، يمكن إجمال أبرز النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

أولاً: أهم نتائج البحث

• **تنظيم الكذب وهندسة الخرائط:** أثبتت الدراسة أن حركة وضع الحديث (خاصة من قِبل الغلاة والباطنية) لم تكن عفوية، بل كانت حركة ممنهجة تتحرك ضمن "جغرافيا سياسية وأيديولوجية" واضحة، اتخذت من بعض الحواضر مراكز بث، ومن ممرات الرحلات مسارات للتسلل المعرفي.

• **تلازم الزمان والمكان في النقد:** تبيّن أن المحدثين لم يفصلوا بين التاريخ والجغرافيا؛ فغدت "الهوية المكانية" للراوي إحداثياً رئيساً يُقاطع مع عمره الزمني وعمر شيوخه، مما حوّل علم الرجال من مجرد سرد بيوغرافي إلى نظام تدقيق "جيوتاريخي" صارم قادر على كشف الانقطاع الخفي والتدليس البلدي.

• **الضبط المشروط بالبيئة الجغرافية:** كشف البحث عن وعي المحدثين بـ "الأهلية المكانية" للراوي؛ حيث لم يتعاملوا مع حفظ الراوي كحالة مطلقة، بل تتبعوا أثر مفارقة الأوطان والكتب، وعزلوا المرويات بناءً على مكان تحديث الراوي (في بلده من كتابه، أم في غربته من حفظه).

• **السبق المنهجي في التحليل الفيلولوجي:** أظهرت النتائج أن نقد المتن بناءً على "التفرد الإقليمي" والتفكيك اللغوي للبنية الحكائية (التناص اللهجي) يمثل سبقاً علمياً باهراً للمحدثين؛ حيث استطاعوا تمييز لكنة الأقاليم، وركاكة الألفاظ الطارئة، والاصطلاحات المولّدة، وعزلها عن الفصاحة الحجازية المركزية للنص النبوي.

• **الربط بين بنية المتن والأيديولوجيا المحلية:** نجح النقاد الأوائل في صياغة معيار موضوعي يربط بين مضمون المتن والبيئة الفكرية لراويه؛ فكانت القضايا العقدية والسياسية الموجهة التي ينفرد بها أهل إقليم بعينه قرينة كاشفة للوضع والافتعال دون الاكتفاء بظاهر سلامة السند.

ثانياً: التوصيات

بناءً على ما أسفرت عنه هذه الدراسة من نتائج، يتقدم الباحث بجملة من التوصيات الموجهة للمؤسسات الأكاديمية والباحثين في حقل الدراسات الحديثية والعلوم الإنسانية:

• **التكامل المعرفي بين علوم الحديث واللسانيات الحديثة:** نوصي بضرورة فتح آفاق البحث المشترك بين علوم الحديث وعلم اللسانيات الجغرافي والتحليل السوسيولوجي للنصوص، لدراسة الأحاديث الموضوعة بوصفها وثائق تاريخية تعكس الفكر الاجتماعي والسياسي لبيئة الوضع.

• **رقمة "خرائط الكذب" عبر نظم المعلومات الجغرافية (GIS):** نوصي بتبني مشاريع علمية رقمية تعتمد على البرمجيات الجغرافية الحديثة لرسم مسارات الرواة الجوالين، وتحديد بؤر الوضع، ومخرجات الأقاليم الحديثية، مما يسهل على الباحثين المعاصرين رؤية الخارطة الإسنادية بشكل بصري ثلاثي الأبعاد.

• **العناية بـ "النقد اللغوي الأسلوبي" للمتون:** الدعوة إلى التوسع في دراسة "البصمة الأسلوبية" للفظ النبوي، وصياغة معايير لغوية حاسمة تفكك التداخل بين كلام النبوة وكلام البشر (القصاص، الفقهاء، المتكلمين، وأصحاب النزعات الباطنية)؛ لما في ذلك من حماية للنص الشرعي وتعميق للمنجز الفيلولوجي الإسلامي.

• **تطوير مناهج تدريس علم "العلل" و"الجرح والتعديل":** نوصي برسم استراتيجية تعليمية في الدراسات العليا تتجاوز التلقين الساكن لقواعد الجرح والتعديل، والتركيز على تدريب الطلبة على استخراج "القرائن الخفية" (الزمنية، المكانية، والنفسية) التي اعتمد عليها الأئمة المتقدمون في محاكماتهم النقدية.

المصادر والمراجع

١. محمد بن الحسن الطوسي (الشيخ الطوسي)، تحقيق: الميرداماد الإسترآبادي، قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٤هـ.

٢. **الاغتباط بمن رمي بالاختلاط**، برهان الدين إبراهيم بن محمد الحلبي (سبط ابن العجمي)، تحقيق: علاء الدين علي رضا، القاهرة: دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣. **تأويل مختلف الحديث**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد زهري النجار، بيروت: دار الجيل، ١٣٩٣هـ.

٤. **تاريخ يحيى بن معين (رواية الدوري)**، يحيى بن معين بن عون، تحقيق: عبد الله أحمد حسن، بيروت: دار القلم، (د.ت).

٥. **جامع بيان العلم وفضله**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ.

٦. **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**، صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت: عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٧. **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ.
٨. **الجرح والتعديل**، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ.
٩. **الرحلة في طلب الحديث**، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: نور الدين عتر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ.
١٠. **الرسالة**، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الحلبي، ١٣٥٨هـ.
١١. **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٢٢هـ.
١٢. **شرح علل الترمذي**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: نور الدين عتر، دمشق: دار الملاح، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.
١٣. **العلل**، أبو حاتم عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: فريق من الباحثين، الرياض: مطابع الحميضي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
١٤. **مستخلص**: ملاحظة: (تم دمج الفهرس اللغوي هنا) **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: عبد الكريم بن عبد الله الخضير، الرياض: مكتبة دار المنهاج، ١٤٢٦هـ.
١٥. **كتاب الفتن**، أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي، تحقيق: سمير أمين الزهيري، القاهرة: مكتبة التوحيد، ١٤١٢هـ.
١٦. **كتاب الفرق بين الفرق وبيان الفصل منهم**، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، بيروت: دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.
١٧. **الكفاية في علم الرواية**، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: ماهر ياسين فحل، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ.
١٨. **معجم البلدان**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.
١٩. **معرفة علوم الحديث**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: السيد معظم حسين، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ.
٢٠. **معرفة علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)**، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦هـ.
٢١. **مقدمة صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
٢٢. **المقتضب من كتاب السيّاق**، أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: مساعد بن راشد الحَميد، الرياض: دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٢٣. **الملل والنحل**، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٤هـ.
٢٤. **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ.
٢٥. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٢هـ.
٢٦. **الوضع في الحديث**، عمر بن حسن فلاته، بيروت: مكتبة عز الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
٢٧. **هدي الساري مقدمة فتح الباري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تونس: دار سحنون، (د.ت).